﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تَحريضُ أهلِ الإيمانِ لِقَومِهِمْ بعد ظُهورِ تخاذلهم وخوفهم

لَمَّا نَكَلَ بنوا إسرائيلَ عن طاعةِ اللّه واتباع رسوله موسى عليه السلام، حرَّضهم رَجُلانِ، للّه عليهما نِعْمَةٌ عظيمة، وهما ممَّن يخافُ أمرَ اللّه ويخشى عقابَه، فقال تعالى ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾[1]، ولَمَّا أمَرَ هذانِ الرَّجُلانِ قَومَهما بالأَخْذِ بالأسبابِ النَّافعةِ، أرشدَاهُم إلى ألَّا يَعتمِدوا على أنفُسِهم، فقالَا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخَافُونَ﴾: الخَوْف: ضِدُّ الأَمْن، خَافَ يخَاف خَوْفًا وخِيفَةً ومَخَافةً، والخَوْفُ: الفَزَعُ، وأصل الخوف يَدُلُّ على الذُّعرِ والفَزَعِ، وخوف اللّه تعالى لا يُراد به ما تعارفه النَّاس من الرُّعب كاستشعار الخوفِ من الأسد، إنَّما المُرادُ به الكفُّ عن المعاصي وتَحَرِّي الطَّاعات وعَمَلُها، فمعنى ﴿يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ﴾: أي: يُراقِبُونَهُ تعالى ويَتَّقونَهُ[3].

2) ﴿غَٰلِبُونَۚ﴾: منتصرون قاهرون، غَلَبَ يغلِبُ غَلَباً وغَلَبةً، والغُلْبَةُ القَهْرُ، وتَغَلَّبَ الأميرُ عَلَى البَلَدِ استولَى عَلَيهِ قَهْرًا. وأصل (غَلَبَ) يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَشِدَّةٍ، والغِلابُ: النِّزاعُ، والمُغَلَّبُ: الّذي يَغلِبُه أقرانَه فيما يمارس،[4].

---

(1) ابْنُ كَثِير، تَفْسيرُ القرآن العظيم: 3/76.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/165، وابْنُ عُثَيمين، تَفْسيرُ ابْنِ عُثَيْمين: 1/265.

(3) ابْنُ دُرَيْدٍ، جَمْهَرَةُ اللُّغَة، والرَّاغِب، المُفردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ مَنْظورٍ، لِسانُ العَرَب: (خوف)، والدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم: 3/71، والبَيْضاويّ، أَنْوارُ التَّنْزيل: 2/122.

(4) الخليل، العَينُ، والجَوْهَريّ، الصِّحاح، وابْنُ فارِسٍ، مَقاييسُ اللُّغَة: (غلب)، والمصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 7/249، والراغب، تفسير الراغب: 4/316.

3) ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾: اعتمدوا عليه، يُقال وَكَلَ بِاللّه يَكِلُ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللّه تَوَكُّلاً، وتوكّلت عليه بمعنى اعتمدته، واتَّكَلَ اتِّكَالاً: استَسلَمَ إِلَيهِ، وأَوْكَلْتَ عَلَى أَخِيكَ العَمَلَ؛ أَي: خَلَّيْتَهُ كُلَّهُ عَلَيهِ، وأصل (وكلَ) يدلّ على اعتِمَادِ غَيرِكَ فِي أَمرِكَ، والتَّوَكُّلُ، إِظهَارُ العَجْزِ فِي الأَمْرِ والاعْتِمَادُ على غَيرِكَ، والمعنى هُنا: اعتمدوا على اللّه فإنَّه ناصرُكم[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مُخاطبةُ المتَّقين من بني إسرائيل لقومهم وتَحْرِيضُهُمْ لهم على الجهاد في سبيل الله والتَّوكُّلِ عليه

قال رجلان من أصحابِ موسى ممَّن يخشون اللّه ويخافون عقابه، أنعم اللّه عليهما بالتَّوفيق لطاعته، وطاعة نَبِيِّهِ يَحضَّان قَوْمَهُما على امتثال أمر موسى عليه السلام: أُدخلوا على الجبابرة بابَ المدينة، فإذا فَعَلتم ذلك فإنَّكم مُنْتَصرون عليهم، وعلى اللّه وحدَه اعتمدُوا وتوكَّلوا إن كنتم مُصدِّقين رَسُولَه فيما جاءكم به، عامِلِينَ بِشَرْعِهِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الاستئنافِ البياني في قولِه ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾:

استئنافُ أهلِ الإيمانِ واليَقينِ من جملةِ الجُبناء الخائفين

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ اسْتِئْنَافٌ بيانيٌّ جديد وقع جوابًا لسؤالٍ اقتضاه المقامُ، وكأنَّه قيل: هَلْ كان فيهم رَجُلٌ رشيدٌ ينصحهم فيأتي بقولٍ سديدٍ، أم لا؟ فأجيب بقوله ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ الآيةَ؛ ولِذَا اخْتير الفصلُ، وبذلك يُعْلَمُ أَنَّ ضميرَ الجمعِ (الواو) في قوله ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾، عامٌّ خُصَّ مِنهُ البَعضُ، بقوله ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾[3].

(1) ابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، والرَّاغِب، المُفردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، ، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (وكل).
(2) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الأَزْهَر، المُنْتَخَب، ص: 149، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسير، التَّفْسيرُ المُيَسَّر، ص: 111، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسير، المُخْتَصَر، ص: 111.
(3) القونويّ، حاشيةُ القونويّ على البيضاوي: 7/437.

دلالة شبه الجملة في قوله ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾:

دلَّ حرفُ الجر على التّبعيض، والمعنى الرجلان بعضٌ من الذين يخافونَ الله، وأفادَ مجيءُ شبهِ الجملةِ صفةً لـ﴿رَجُلَانِ﴾ بصيغةِ الاسم الموصولِ وصلتِه بيانَ وجهِ بناءِ قولِهم، أي إنَّ خوفَهم من الله هو السبب في أن قالوا ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾.

سِرُّ التَّعبير بقوله ﴿يَخَافُونَ﴾ بعد ذِكْرِ مقالة الخائفين من العدوِّ:

التَّفريقُ بين من يخافُ اللهَ ومن يخافُ غَيْرَهُ

معنى ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: يخافون الله تعالى، وحُذِفَ المفعولُ؛ لتنزيلِ الفعلِ ﴿يَخَافُونَ﴾ منزلةَ اللازم، بمعنى أنَّ الخوفَ من الله كانَ وصفًا لازمًا لهما، وفي وصفِهم بذلك تعريضٌ بأنَّ من القومِ من كانوا لا يخافونه تعالى، بل كانوا يخافون العَدُوَّ[1].

دلالةُ قولِه تعالى ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ بين الاستئناف والصفة والحاليّة:

بيانُ أثرِ الإنعامِ من اللهِ على عبدِه بالخوف مِنهُ دونما سِواه

تحتمل جملةُ ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ أن تكونَ استِئنَافًا بَيَانِيًّا جوابًا لسؤالٍ مقدَّرٍ لِبَيَانِ مَنشَأِ خَوفِهِمَا الله تعالى، وتقديرُ السُّؤالِ: كيف حصل عندهما هذا الخوف من الله ولا يخافونَ العدوَّ، فجاء الجواب بأنَّه تعالى أنعمَ عَلَيهِمَا بالشجاعةِ، فحذف متعلق فعل ﴿أَنۡعَمَ﴾ اكتفاءً بدلالة السياق عليه، وهذَا يَقتَضِي أَنَّ الشَّجَاعَةَ في نَصرِ الدِّينِ نِعمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى صَاحِبِهَا[2]، وتحتمل الجملةُ أن تكون صفةً ثانيَةً لِـ﴿رَجُلَانِ﴾، تفصيلًا في مدحهما وتأكيدًا له، فيكون الإنعام على معنى العموم، وليسَ مختصًّا بالشجاعة، والتّقدير: قال رجلان موصوفان بأنَّهما من الّذين يخافون الله - تعالى - ولا يخافون سِواه، وبأنَّهما من الّذين أنعمَ الله عليهما بالإيمانِ والتَّثبيتِ والثِّقة

(1) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/277، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/165، وأَبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/24.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/164.

بوعدِه، والطَّاعةِ لأمره، قالا لقومهما: ادخُلُوا عليهم البابَ، وتحتمل الجملة أن تكون حالًا من ضمير ﴿يَخَافُونَ﴾ والمعنى قال رجلان من الذين يخافون حالَ كونهما قد أنعم الله عليهما بخوفهم من الله[1].

نكتةُ تقديمِ ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ في قولِه ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على المفعولِ به ﴿ٱلۡبَابَ﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّم[2]؛ لأنَّ المقصودَ إنَّما هو دخولُ البابِ، وهم في بلدِهم؛ أي: فاجئُوهم وضاغِطُوهم في المضيقِ، ولا تمهلوهُم ليحصُرُوا ويجدُوا للحربِ مجالًا[3]؛ فإنَّهم عندئذٍ يُصيبُهُم الذُّعرُ، وتأخذُهُم الفجاءةُ، ويتحَيَّرون، فتأخذهم السُّيوفُ، وتكونون أنتم الغالبين، ولا شَكَّ أنَّ غزوَ قومٍ في دارهم فجاءةً يُؤدي إلى هزيمتهم، ولقد قال في ذلك علي بن أبي طالب ﷺ: "ما غُزِيَ قَوْمٌ في عُقْرِ دارهم إلّا ذَلُّوا"[4].

الاهتمامُ بشأنِ مباغتَةِ العدوِّ ومفاجئَتِهم في بَلَدِهم

دلالةُ التّعبير بقوله ﴿عَلَيۡهِمُ﴾:

ليفيدَ دخولَهم على طريقة الغلبَة والاستعلاء والتمكُّنِ من القومِ الجبَّارين.

دلالةُ الشَّرطِ والجزاءِ في قولِه ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾:

عُبِّرَ بالأداة ﴿فَإِذَا﴾ للحثِّ على دخولِ البابِ وقُرِنَت الأداة بالفعل الماضي، ﴿دَخَلۡتُمُوهُ﴾ للإشعارِ بالقطعِ في حصولِ الشّرطِ وكأنَّه قد وقعَ، فإذا وقع تحقَّقت الغلبَةُ، من غيرِ مهلةٍ بسبب وجودِ الفاء، والمعنى منْ غيرِ حاجةٍ إلى القتال، ثقةً منهما بوعدِ الله وما عهداه من صنع الله تعالى لموسى ﷺ في قهر أعدائه، أو أنّهما عَلِمَا بذلك من خبرِ موسى، ومِنْ قوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، أو كانا قد عَرِفَا أنَّ الجبّارين قد مُلِئَتْ قلوبهم خَوفًا ورُعبًا[5]، والتّعبير بأداةِ

الحثُّ على الدّخولِ والتّرغيب فيه

(1) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/24، وطَنْطاوي، الوَسيط: 4/108.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/24.
(3) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/278.
(4) أبو زهرة، زَهْرَةُ التَّفاسير: 4/2116.
(5) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/278، والقِنَّوْجيّ، فَتْحُ البَيان: 3/391.

الشّرط (إذا) مع الفعل الماضي هنا أقضى لحقِّ البلاغة والمطابقُ لها، وفي العبارة ما يُفيدُ تأكيد الغَلَبِ؛ لأنَّهُ عبَّر عن الغلبِ بالجملة الاسميَّة، و(إنَّ) الّتي تؤكِّدُ القولَ[1]، وفي هذا الخطابِ مُبالغةٌ في الوعدِ بالنَّصر والظَّفر، كَأنَّه قال: مَتَى دَخَلْتُم بابَ بَلَدِهم، انهزَمُوا ولا يبقى منهم نافخُ نَارٍ ولا ساكنُ دارٍ، فلَا تَخافُوهم[2].

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ على الفعل:

بيانُ خصوصيةِ التَّوكل على الله دونما سِواه، وأنَّ التوكّلَ علامةُ الإيمانِ وسببُ التَّوفيق والإقدام

أفادَ التّقديمُ التّخصيصَ والاهتمام، والمعنى وعلى اللّه تعالى خاصّةً دونَ غيرِه فَتَوَكَّلُوا في دخولِ البابِ وفي غيرِه من أعمالِكم ليفيدَ عمومَ التَوكُّلِ، بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدُوا عليها فإنَّها لا تُؤثِّر من دون إذنه إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ باللّه تعالى، والمرادُ بهذا الإلهابُ والتَّهييجُ، وإلَّا فإيمانهُم مُحقَّقٌ، وقد يُرادُ بالإيمان التَّصديقُ باللّه تعالى وما يَتبَعُهُ من التَّصديق بما وَعَدَ به[3].

سِرُّ التَّذييل بالجملةِ الشرطيَّةِ:

بيانُ أنَّ الإيمانَ باللّه تعالى هو سِرُّ التَّوكُّل الجَالِبُ للنَّصر والظَّفر

لمّا رَأَى الرجلانِ بني إسرائيل قد عَصَوا الرَّسولَ في الإقدامِ على الجهاد مع وعدِ اللّه لهم السَّابق، استرابَا في إيمانهم، فاحتاج الأمر إلى تأكيد الأمرِ بالتَّوكُّلِ على اللّه؛ إذ هو الملجأُ والمفزعُ عند الشَّدائد، فجاء الشّرط محذوف الجوابِ ودلَّ عليه السّياقُ، والتّقدير (إنْ كنتم مؤمنينَ فعلى اللّه توكّلوا)، فكأنَّه أعاد الأمر بالتّوكُّلِ مرّتين؛ لتأكيدِه وتقريرِه في نفوسهم، وعلَّق ذلك بِشَرطِ الإيمان الّذي استرابَا في حصوله لبني إسرائيل[4]، فذَيَّلَا بقَوْلِهِمَا: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ لأَنَّ الشَّكَّ في صِدقِ الرَّسُولِ مُبطِلٌ لِلإيمَانِ[5].

(1) أبو زهرة، زَهْرَةُ التَّفاسير: 4/2116.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/334.
(3) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/278.
(4) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/220.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/165.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الغَلَبَة والنُّصْرَة:

النُّصْرةُ تسديدٌ وتأييدٌ من اللهِ، وهي تشريفٌ خاصٌّ للمؤمنين، والغَلَبَةُ أَعَمُّ

ليس كلُّ غلبةٍ نُصْرَةً؛ وإنّما النّصرُ يكون للخير والفوز العظيم؛ ولذلك جاء في الآية الكريمة ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: 160]، وقال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر: 51]، والنَّصر يكون من عند الله لِعبادِه المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 126]، وقال تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: 13]، والنُّصْرَة لَا تكونُ إِلَّا على المنازعِ والخصمِ والمناوِءِ المُشاغب[1]، وأمّا الغَلَبَة فقد تكونُ بِفضل القُدرَةِ وبفضل العلم، يُقَال: قَاتَلَه فغلَبَه وصارَعَه، وذَلِكَ بفضلِ قدرتِه، وقد تكون أيضًا بالاستكبارِ أو الكثرة بالعددِ أو الأموال.

أمّا الانتصارُ فإنَّما يكونُ بتسديدٍ من الله ﷻ بغضِّ النَّظر عن الفئةِ الرَّاجحةِ العدد أو الأموال أو السُّلطة، وفي مطلع سورة الرُّوم ذكر الغَلَبَةِ والنُّصْرة؛ حيث وافق غلبةُ الرُّوم لِلفُرسِ انتصارَ المسلمين في بدر، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم: 1 - 5]؛ فالنُّصرة تكونُ في ظلالِ التَّكريم والتَّشريفِ من اللّه، وهذا خاصٌّ بالمؤمنين الصَّالحين.

(1) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويَة، ص: 189.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»